

صفات

الإمام المهدي (عليه السلام) وشمائله

اسم الكتاب: صفات الإمام المهدي (عليه السلام) وشمائله

المؤلف: منتظر الكناني

الموضوع: كلام

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: أيلى

الكمية: ٣٠٠٠

ISBN: 964-8686- -

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي

www.ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اخترنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحنّدين لخُطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ان يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد. ولا بدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدسة

صفات الإمام المهدي (عليه السلام) وشمائله

المقدمة

نحمده ونستعين به ونتوكل عليه ونهتدي بهداه ونتوسل بألطافه الظاهرة والباطنة محمد وآله الطاهرين المعصومين ومن أين لنا الهدى؟ وكيف نفلح؟ إلا بالمبعوث رحمة للعالمين وآله الطاهرين الميامين، الذين أحيوا كلمة الله، وبلغوا رسالاته، ورفعوا لواءه، وسدّدوا عباده لصالح الهدى، وخير الأعمال، وواضح الطريق، فله المنة والحمد والشكر، وعليهم الصلاة والسلام ما بقي ليل وأشرق نهار.

وبعد، فإن الروايات التي جاءتنا عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرة بخصوص شمائل المهدي وصفاته كثيرة، ولعلها متواترة، كالروايات الدالة على وجوده وظهوره، وهذه الكثرة مانعة من استيعابها ببحث مختصر، وهي من الأهمية بحيث لا بد من الوقوف عندها والتأمل في غاياتها، ومعرفة أهداف الرسول الكريم والأئمة المعصومين (عليهم السلام) من إيرادها والحديث عنها، ولذا اعتمدنا منهج الاختيار والانتقاء والإشارة إلى ما ورد من نوعها، والاكتفاء من كلّ صفة بحديث واحد أو اثنين والتركيز على ما يؤدي إلى وصفه، والتعريف به عجل الله فرجه، وتركنا الكثير من الجوانب مما لا يؤدي لهذا الغرض، باعتبار أنّ غاية البحث التوقف عند روايات شمائله وصفاته، لاستلهاهم دور هذه الروايات ودراسة أثرها ومعرفة موقعها في عقيدتنا المهدوية الحقّة...، ولذلك مررنا على مسألة دوره الذي يشبه دور آبائه المعصومين، ثم عرضنا على كيفية أدائه لهذا الدور، ورجّحنا طريقة لا نجد أفضل منها لأداءه دوره الشريف، وبيّنا دور الروايات الكاشفة عن صفاته وشخصيّته في هذه الطريقة، ليتبين لنا في آخر البحث أنّ وجود روايات تصف شكل الإمام، ووصفه هي جزء من حكمة الرسول، وأسلوب رائع من الأئمة المعصومين، لإيصال أصل الفكرة، وإبقائها حيّة، ومنع المنحرفين من الادعاء والاستفادة منها، وإشاعة الأمل في نفوس الأتباع بالتعلق به، والدعاء له، والسير على هدايته، فكانت هذه الروايات حلقة مهمة وضرورية من عقيدتنا المهدوية.

الإمام المهدي كآبائه المعصومين (عليهم السلام)

من مقدمة القول بالإمام الحجة - عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أتباعه والمستشاهدين بين يديه - تشبيه دوره بمن سبقه من آبائه الطاهرين ومقارنة المطلوب منه (عج) مع ما أدوه هم من عظيم دور، في هداية الناس وإحياء كلمة الله ورد المبطلين ومقاومة المنحرفين،

وذلك أنّ وظيفتهم الأساسية لا تختلف، وتكليفهم واحد، وإن اختلفت أساليبهم إليه أو تنوعت وسائلهم لتحقيقه، حيث إنّ غاية وجودهم الشريف واحدة، وهي كما يستفاد من مجموع الروايات:

- ١ - إعلان الحقّ وتوضيح المراد الإلهي من كل تشريع وفي كلّ موقف.
 - ٢ - ردّ المبطلين والمنحرفين والغالين، وإبطال حججهم، وإفشال كيدهم، وإقناع الناس بسفه آرائهم وضعف قولهم.
 - ٣ - حماية المؤمنين وخلص أتباعهم من كلّ زيادة أو نقص من المنهج الحقّ، وتسديدهم بكل الوسائل الممكنة لنلّا يخرجوا عن الجادة.
 - ٤ - إقامة حجة الله البالغة على العباد، وبوجودهم ومجرد حياتهم وعيشتهم بين الناس حجة بالغة على العباد، في كمال الطاعة وكمال الاخلاص وتمام الدين، ولولا وجودهم المبارك كيف نرد على من يقول أنّ هذه الطاعة غير ممكنة التطبيق، أو هذا الدين لا يمكن العمل به؟ فوجودهم لوحده إتمام للحجة وإظهار للنعمة وإقامة للبيّنة.
- أما الروايات الدالة على هذه المطالب فهي أكثر من أن تحصى في هكذا بحث مقتضب، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقولون، لذا نورد بعض هذه الروايات الكاشفة عن المطالب أعلاه، مع الإشارة لوجود العشرات غيرها، مع اختلاف في بعض الألفاظ، واحتفاظها بنفس المعنى.
- ورد عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) : «إن عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ولياً في أهل بيتي موكلاً يذب عنه، ينطق بالهام من الله ويعلم الحقّ وينوره، ويرد كيد الكائدين»^(١).
- وعنه وعن أهل البيت(عليهم السلام) «إنّ فيهم في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»^(٢).
- وفي المستفيض عنهم(عليهم السلام) : «إنّ الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم، إذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم الى الحقّ، وإن نقصوا شيئاً تمّ ذلك، ولولا ذلك لالتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحقّ والباطل»^(٣).
- وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) أنّه قال: «اللهم إنّك لا تخلي الأرض من قائم بحجة، إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور، لنلّا تبطل حججك وبيّناتك»^(٤).
- وفي أمثالها: «لا بد لأرضك من حجة لك على خلقك يهديهم الى دينك ويعلمهم علمك لنلّا تبطل حجّتك ولنلّا يضل تبع أوليائك بعد إذ هديتهم به.. إما ظاهر ليس بالمطاع، أو متكتم، أو مترقب...»^(٥).

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٤، ح ٥.

(٢) الكافي ج ١ / ٣٢، ح ٢.

(٣) علل الشرائع للصدوق: ج ١ ص ١٩٦ ح ٤.

(٤) الكافي: ج ١ / ٣٣٥، ح ٣، مع اختلاف يسير.

(٥) كمال الدين: ص ٣٠٢ مع اختلاف.

على كل حال، هذه الروايات - كما قلنا - أكثر من أن نوردتها بهذا المجال وللاستزادة يراجع «الاحتجاج» و «كنز الفوائد» للعلامة الكراجكي، و (نهج البلاغة).

وقد ورد في أدعية الأئمة (عليهم السلام) وخطبهم الكثير من أمثال هذه المعاني التي تؤكد وجود الإمام وأداء دوره المبارك، في هداية الناس وإعانتهم على كل ما يتعلق بدينهم، تسديداً عن خطأ أو معونة في حق.

ومن هنا ننتقل الى الفصل الأول للبحث عن خاتم الحجج وصاحب الزمان عجل الله فرجه، بعد أن عرفنا أنه كأحدهم فيما يجب عليه إزاء عباد الله ممّا فرضه الله على خاصة أوليائه من كمال الطاعة له، وهدايتهم للحق، مساعدتهم عند كل عائق يلاقوه في طريق الطاعة إليه.

خصوصية المهدي واختلافه عنهم (عليهم السلام)

لما كنا انتهينا من التمهيد الى أن دورهم (عليهم السلام) ووظيفتهم واحدة، وهي هداية الناس الى الحق وردّهم عن الباطل، لا بد أن يكون دور المهدي - عجل الله تعالى فرجه - مع غيبته واختفائه مطابقاً لدورهم و متمماً لما أنجزوه ومكماً لما حققوه، كما أن من اللازم ألا يختلف عن دورهم إزاء أوليائه وخاصة أتباعه، ولا أن يفترق بدوره عن دورهم إزاء عموم المسلمين وجماعة المؤمنين، لأن أصل غيبته واختفائه لا يعارض أصل الحاجة للإمام المعصوم المسدد، كما لا يخفى على عاقل، بل إن غيبته هي للحفاظ على أصل الحاجة له، مع تغيير في الشكل، بعد أن تعذر بقاءه ظاهراً، ولا حاجة للاستدلال على ذلك بهذا الاختصار، إلا أن الإشارة لحدث الانتفاع بغيبته في الرواية المشهورة التي مثلته (عج) بالشمس، ينتفع منها وإن حجبها السحاب، تكفي للدلالة مع إشارة أراها مهمة، وهي أن غيبة الشمس واختفاءها خلف الأفق عند الليل، هي فائدة أخرى متممة وضرورية لفائدة شروقها، بل إن الاستفادة من شروقها لا تكمل ولا تتم لولا سكون الليل، وراحة الإنسان فيه والنوم فيه، وحيث إن احتجابها خلف السحاب لا يلغي نهائية النهار، إلا أن فائدتها في الليل لا تخلو من نكتة أيضاً.

لكنّ عظيم البلاء الذي اختص به المهدي من آل محمد (عليهم السلام)، هو صعوبة أداء هذا الدور مع قلة الظهور وعدم الالتقاء بالناس، لأن أصل مشكلة الضلالة والهداية هي في الناس، ومنهم وإليهم، فكيف يستطيع المعصوم المغيب أداء دور الحاضر الشاهد في هداية أمته ومنعها من الضلال، وردّ المرتابين وإبطال حجج المنحرفين، وهو لا يملك من الصلة بهم إلا قطرة من بحر التواصل وخيط من نور الاتصال.

إنّ هذه المفارقة هي ميزة الإمام المهدي، أو قل نقطة الاختلاف عن غيره من آبائه المعصومين، وهي بلاشك صعوبة إضافية ومحنة أخرى «أن يراد منه أداء تمام دوره مع احتجابه» وهل يستطيع ربّ الأسرة أن يوفي كلّ حاجات أسرته وهو يسكن في مدينة أخرى؟ وهكذا يقع السؤال على هذا المغيب كيف لم يقصّر في دوره العظيم مع أمته مع عظيم محنته في غيبته؟

إذا سيحتاج المهدي (عج) الى الكثير من العوامل، التي تساعد لإنجاز مهمته العظيمة في اصلاح الناس وهدايتهم الى الحقّ وردّ شبهات المبطلين، ومعونة خُص أصحابه ومواليه على إصابة الحقّ وتجنب الباطل. هذه العوامل تختلف عن حياة الأئمة المعصومين الآخرين الذين كانوا يلتقون أصحابهم ويتصلون بمن يشاؤون، بل ويفعلون الكثير ممّا يفعله الإنسان في حياته الاعتيادية، دون إجراءات إضافية واحترازات خاصة لحمايته من القتل.. رغم أن حياة الإمام الحسن العسكري شهدت قدراً من الضغوط جعلته يأمر أصحابه بالأّ يسلموا عليه والأّ تعرضوا للذبح والقتل كما ورد في بعض الروايات عنه (عليه السلام) .

ممّا يعني أنه عاش إرهابات الغيبة أو بعض مظاهرها في التخفي عن عموم الناس بكونه إماماً معصوماً، والاقتصار على الخواص الذين يوصلون لبقية المؤمنين الحقائق الهامة، ولو افترضنا أن كتاباً كالذي أراد أبو إسحاق الكندي تأليفه، عن تناقضات القرآن فنقل الإمام العسكري عن طريق أحد أتباعه للكندي سؤالاً جعله يحرق كتابه ويهتدي الى الرأي الصحيح في المسألة... لو افترضنا أنّ مثل هذه الحالة تحصل في زمن المهدي الغائب (عج)، فكيف يرد شبهات المبطلين ويدفع عن الحقّ...، وهو لا يملك ما كان بيد والده الإمام العسكري، لابد أنه سيلجأ لوسائل جديدة وطرق لا نعرف الكثير منها، ولكنها لا تخلو من مجموعة مرتكزات مهمة، منها:

كيف يؤدي المهدي رسالته وهو غائب

١ - الاعتماد على الأولياء والعلماء وخُص الأتباع الذين يمكّنهم الإمام من هذه الأدوار عبر تعليمهم وتوجيههم المباشر، أو عبر إعدادهم وتهيأتهم ليقوموا هم بالمهمة دون تدخله مباشرة.

٢ - لابد أن تكون هنالك وسائل توصيل تجعل الإمام يحيط بما يجري ويعرف ما يدور على أمته من أحداث، وإلا ينتفي معنى الغيبة وفائدتها، إذا تخيلنا أنّ الإمام منقطع عن الناس... ومن ثم يعالج هذه المشاكل بشكل ما...

٣ - لابد لهذه الصلة من آلية، أو كيفية، أو طريقة تتحقق بها، وهي على عدة افتراضات:

أ - أن يكون له أتباع يرتبطون به بشكل مباشر يلتقون به ويخبرونه بما يجري، ويخبرهم ماذا يعملون، بشكل يعالج مشاكل الواقع بطريقة إشرافه المباشر، وهي طريقة تشبه تنظيمات الأحزاب، أو التشكيلات الثقافية والأمنية والسياسية المعاصرة.

ب - الطريقة الثانية أن لا يتدخل إطلاقاً في هذه المشاكل والمعاناة وغيرها، ويترك أمرها لأصحابه وأنصاره الذين يتحركون لوحدهم، في علاج المشاكل بحكم اطلاعهم وعلمهم. وهذان الفرضان يصطدمان، لمشاكل يصعب تجاوزها: فالطريقة الأولى تنفي معنى الغيبة تماماً، إذ أن وجود إتصال دائم ومستمر ومع عدد معين من الناس، مهما كانت درجة إخلاصهم أو علميتهم، يتنافى مع الغيبة، ومجموع الروايات التي تحدثت عنها تؤكد انقطاعه وغيبته.

وأما الطريقة الثانية فهي تبعد المعصوم عن دائرة التأثير، وتجعل العمل الذي يتصدى لعلاج المشاكل دون درجة العصمة، وهو ما يعني إمكان الخطأ واحتمال الانحراف ولو بنسبة قليلة، إلا أن وجودها يمنع اعتبارها من عمل المعصوم الذي يخلو من أي احتمال للخطأ أو الانحراف.

فلا بد أن تبقى إذاً طريقة واحدة محتملة تتضمن حضور المعصوم، في دائرة الفعل والتأثير مع استمرار غيبته وانقطاعه. هذه الطريقة يمكن تسميتها بالإتصال من وضع الانفصال، أو الغيبة المتصلة بالفعل والتأثير.. وهذه هي الطريقة التي ورد الكثير من الروايات شارحة لها دالة عليها، كما ورد الكثير من الحوادث في زمن الغيبة يؤكد عليها ويشير إليها.

ويمكن الإشارة لمجموعة من حالات الظهور المبارك للطلعة البهية في زمن الغيبة، بما يؤكد أن هذه الطريقة هي وسيلة الإمام للاتصال بشيعته عند الضرورة التي تستدعي حضوره، أو عند رغبته هو في الظهور والتدليل على وجوده المبارك، أو تحقيق أي غرض من أغراض إمامته المباركة... وهذه الطريقة لا يمكن أن تحقق أهدافها وتثبت صحتها ما لم يكن للإمام (عليه السلام) مجموعة من الخصال والشمائل والعلامات، مما لا يمكن معه الاختلاف عليه في حال ظهوره، أو لقيه من قبل أحد الصالحين.

من هنا تأتي أهمية صفاته وشمائله، التي سنورد بعض الأحاديث والروايات عنها، ثم ننتقل لدراسة أبعادها المختلفة، بعد أن نتناول جوانب من ضرورتها لأداء دور المهدي في زمان غيبته أرواحنا فداه.

إنّ من مفردات دوره المبارك - كما قلنا وكما هو ثابت في البحوث العقائدية للطائفة الحقّة - تسديده للمؤمنين والعلماء وضمان إبقاء هذه المجموعة على الحق، لا تميل عنه ولا تنحرف الى غيره، ولا بدّ أن يستلزم هذا التسديد العديد من اللقاءات المباشرة وغير المباشرة،

والتوصيات والتدخلات على مدى هذه القرون المتطاوله، وهذه - أيضاً - تحتاج الى جزء مهم من أوصافه وشمائله وخصائصه البدنية والأخلاقية، والتي يجب أن تحدد من قبل الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، أو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، المهم أن تكون معلومة ومدونة ويتناقلها المختصون، أو يعرفها الناس لكي تكون كل عملية ظهور له، أو قصة عن موقف ما معززة بالأدلة، وكاشفة عن تأكيد هذه العقيدة الحقّة به، وبدوره وظهوره بين الحين والآخر، إما لتسييد مؤمن، أو لكشف معضلة، أو مساعدة أحد أتباعه وهكذا...

إنّ قضية صفاته وشكله ونوع طلعتة البهيّة أرواحنا فداه، لا تتعلق بشكل الإمام وهيبته وبهاءه ومقدار ما يقدمه، هذا الشكل المنير والطلعة البهيّة من عواطف، تغذي محبة مريديه وتزيد من أشواق محبيّه، بقدر ماهي حلقة في سلسلة مترابطة من الأدوار التكاملية، التي تؤدي كلها الى رسوخ عقيدة المهدي في ضمير المسلمين، بما يجعلها محطة من محطات التخطيط الإلهي لإنقاذ البشرية من أوام الباطل ومخططات الظالمين والكافرين.

الروايات الكاشفة عن شمائله وصفاته

لنتأمل أولاً مجموعة من الأحاديث الكاشفة عن شمائله، ثم نعود لإثبات هذا المطلب من خلال الروايات نفسها، بعد أن مررنا عليه بالتحليل المنطقي والبناء الفكري السليم، حيث سنطبق الروايات الكاشفة عن صفاته مع بعض قصص ظهوره، لنرى أهميتها كجزء من مخطط كبير، تمثل حلقات من سلسلة متصلة تبدأ بغاية الخلق وتنتهي بالمهدي الموعود وضرورة التصديق به، باعتباره الخيار الأخير لتطبيق غاية الخلق، وهي إقامة المجتمع الصالح العابد لله تعالى، الذي يعمر الأرض ويحقق خلافة الله في كونه...
لنلاحظ الروايات الكاشفة عن الصفات أوّلًا^(٦):

ورد في مصادر عديدة: «المهدي حسن الوجه» وعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) ورد في مصادر كثيرة^(٧) مع اختلاف بسيط: «المهدي طاووس أهل الجنة». وفي عرف السيوطي ومصادر أخرى^(٨) ورد عن ابن عباس: «يقوم في آخر الزمان رجل من عترتي شاب حسن الوجه...».

وفي حديث آخر وردت صفة طلعتة البهيّة بوصف الكوكب الدرّي، فقد روى أصحاب السنن المحدثون: «كأنّ وجهه كوكب درّي» أو «كأنّ وجه المهدي كوكب دري» وهذا الحديث ورد بتفاصيل مختلفة وكلمات متفاوتة كلّها تصف وجهه المبارك بالكوكب الدرّي^(٩).

(٦) إسعاف الراغبين: ١٤٦، وعرف السيوطي للهاوي: ٢/٢٤٦، عقد الدرر: ٦٥ و ٦٨ الباب الثالث .

(٧) الفصول المهمة: ٢٩٣، فصل ١٢، والبرهان: ١٧١، الباب الثاني عشر، ج ٢، وكنوز الحقائق فضلاً عن ينابيع المودة: ٨٢/٢ الباب ٥٦، والبيان: ١١٨ الباب الثامن.

(٨) كنز العمال: ٥٨٥/١٤ - ٥٨٦، وفراند فوائد الفكر: ٢ باب ١، وإسعاف الراغبين: ١٤٦ على هامش نور الأبصار وسنن ابن عمر والداني: ٩٥ - ٩٦ .. «أني لأرجو.. غلاماً شاباً».

فيما ورد في العديد من المصادر وصفه بأنه: «وجه المهدي كالقمر الدرّي» وعن حذيفة بن اليمان عن النبي(صلى الله عليه وآله) في المصادر نفسها: «المهدي من ولدي وجهه يتلأأ كالقمر الدرّي». وروى ابن موسى، عن الأسيدي، عن البرمكي، عن إسماعيل ابن مالك، عن محمد بن سنان أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه(صلى الله عليه وآله)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنبر: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان... بظهره شامتان، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي(صلى الله عليه وآله)»^(١٠).

كما ورد في رواية أخرى: «هو شاب مربوع، حسن الوجه، حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه..»^(١١).

كما ورد في روايات عديدة أنه أزيل الفخذين، وفي فخذة الأيمن شامة، وقد شرح المجلسي(رحمه الله) وابن قتيبة أزيل الفخذين: بأنهما من الزيل كناية عن كونهما عريضتين^(١٢).

وورد في وصفه الشريف أنه: «المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، عريض ما بين المنكبين...»^(١٣).

وورد في رواية عن الصادق(عليه السلام) أو الباقر(عليه السلام) نقلها صاحب البحار أيضاً، قولهم: «يا أبا محمد بالقائم علامتان: شامة في رأسه، وداء الخراز في رأسه، شامة بين كتفيه من جانبه الأيسر تحت كتفيه...»^(١٤).

وقد ورد داء الخراز أو حزاز في رأسه بروايات عديدة فلاحظ.
كما أورد المجلسي الكثير من الروايات في بحاره عن وصفه بأنه: «مبدح البطن»^(١٥).
وورد في أحاديث أخرى: «المهدي يعلو نور وجهه»^(١٦).
وهنالك غير هذه الصفات التي يمكن اعتبارها مؤكدة فيه لكثرة ما ورد فيها من أحاديث وروايات كثيرة جداً.

(٩) عرف السيوطي للحاوي: ٢٢٣/٢ و ٢٢٤ و ٢٤٣، وإسعاف الراغبين: ١٤٦ على هامش نور الأبصار، وينايع المودة: ١٠٤/٢،

والقول المختصر والصواعق المحرقة، ميزان الاعتدال وغيرها فراجع البيان: ١١٨ الباب الثامن، والفصول المهمة: ٢٨٤.

(١٠) إعلام الوری بأعلام الهدى للطبرسي: ٢٩٤/٢، إكمال الدين للصدوق: ٦٥٣.

(١١) إرشاد المفيد: ٣٨٢/٢، الغيبة للطوسي: ٤٧٠.

(١٢) ينايع المودة للقدوزي: ٤٠٧/٣، غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٥٩/١، بحار الأنوار: ٣٩/٥١ - ٤٠.

(١٣) الغيبة للنعماني: ٢١٥، تاريخ آل زرارة لأبي غالب الزراري: ٢٣/١.

(١٤) الغيبة للنعماني: ٢١٦.

(١٥) راجع ج ٥١، ص ٣٤، وما بعدها.

(١٦) عقد الدرر: ٦٨، الباب الثالث عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر(عليه السلام)، وشرح الأخبار للقاضي النعمان: ٥٦٥/٣.

هنالك مواصفات أكثر تحديداً وأدق وصفاً، تحدّد علامة معيّنة في وجهه، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المهدي مني... في وجهه خال أسود»^(١٧).

وهنالك صفة أخرى دقيقة ذكرت في وصفه هي: «أقنى الأنف» و «أشم الأنف» وهما وصفان متقاربان وجاءا في أحاديث عديدة، فعن أبي سعيد (رضي الله عنه): قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المهدي من أهل البيت أشم الأنف»^(١٨).

وعنه أيضاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، أجلى، أقنى...»^(١٩).

وقد وردت الصفة الأخرى «أجلى» في أحاديث كثيرة، منها «المهدي رجل أجلى الجبهة»^(٢٠).

كما ورد في مصادر عديدة: أنه أجلى الجبين، فيما ورد في غيرها أنه «أعلى الجبهة» وهو قريب المعنى من الأجلى والأقنى، ولعله من خطأ النقل والكتابة والله أعلم^(٢١).

لقد وردت العديد من الصفات للإمام الغائب (عج) لا نستطيع جمعها كلها بهذا البحث المختصر، بل سنشير لها اختصاراً ونقف عند الصفات التي كثرت فيها الروايات وتعدد الناقلون لها... فقد ورد العديد من الصفات بأحاديث قليلة وربما قليلة جداً، كالحديث الذي ورد في عقد الدرر في الباب الثالث عن أبي وائل، حيث ورد أنه عجل الله تعالى فرجه: «بفخذه الأيمن شامة» وهذه الصفة لا يمكن اعتبارها ممّا نبخته أوّلاً لقلّة رواة هذا الحديث وغرابته، والأهم خروجها عن كونها من الصفات الظاهرة، فليس طبيعياً أن يصف أحد شخصاً، لتعريفه بشامة في فخذه الأيمن، ولعلها إن صدق الظن في خذه الأيمن، غلط فيها الكتاب فجاءت بهذا الشكل، خصوصاً وأن رواية خذه الأيمن مؤكدة، المهمّ أنه بهذه الحالة لا تصلح لكونها علامة وصفة ظاهرة.

من الصفات الأخرى التي وردت في توصيفه (عج) هي أنه: «مفرج الثنايا» أو «أبلج الثنايا» وفي حديث آخر: «أخرق الثنايا» وفي ثالث: «براق الثنايا» كما في العديد من المصادر^(٢٢).

(١٧) البرهان: ١٠٠ الباب الثالث، ج٦، والقول المختصر ٧٧ باب ٢، ج٢١. وورد في فرائد فوائد الفكر وغيره تحديد خذه الأيمن مكاناً للخال «هو رجل من ولدي... في خذه الأيمن خال أسود» راجع فرائد فوائد الفكر: ٤ باب ٢، والبيان: ١٣٧ الباب الثامن عشر ودون تحديد خذه الأيمن في إسعاف الراغبين: ١٤٦ على هامش نور الأبصار وعقد الدرر: ٦٢ الباب الثالث.

(١٨) الحاكم: ٥٥٧/٤، وسنن أبي داود: ١٠٧/٤، ح٤٣٨٥، وفرائد السمطين: ٣٣٠/٢، ح٥٨٠، وغيرها.

(١٩) فرائد السمطين: ٣٢٤/٢، ح٥٧٤ ومسنند أحمد: ١٧/٣.

(٢٠) نور الأبصار: ١٨٧، وسنن أبي داود: ١٠٧/٤ ح٤٢٨٥، والبرهان: ٩٩ الباب الثالث ح٣١، والقول المختصر.

(٢١) نور الأبصار: ١٨٧، وعقد الدرر: ٦٥، الباب الثالث، العرف السيوطي الحاوي: ٢٢٠/٢ وفي فرائد السمطين.

(٢٢) القول المختصر: ٧٧ باب ٢ ح٢٠، والبرهان الباب الثالث، والبيان: ١٣٩ - ١٤٠ الباب التاسع عشر وغيره.

كما وردت صفة أخرى وهي (أزج) في مصادر أخرى غيرها^(٢٣). عن محمد ابن جبير «المهدي أزج».

صفات خارج البحث

وقد وردت صفات أخرى عن شعره ولحيته ولباسه، رأينا أن نصفح عنها لأنها ممّا يتغير ولا يعتد بكونها صفات توصف لرجل يراد معرفته أو تشخيصه، وهو يعيش أجيالاً ويلتقي بين جيل وجيل، هنا وهناك، بما لا يجعل لصفة شعره المنسدل على كتفيه أو لحيته الكثة أو كحل عينيه أو غيرها من الشمائل والصفات التي نعتمدها لبحثنا عن صفاته الشخصية، ولكنّ هذه الروايات الكاشفة عن بعض صفاته خارجة عن دائرة بحثنا.

نعم قد يقول قائل إنّها ستكون إحدى أدوات تشخيصه والدلالة عليه - أرواحنا فداء - حين يتم اللقاء به ضمن مرحلة الغيبة، أو خلال ظهوره الشريف، لتغيير الظلم وإحقاق الحقّ بعد استكمال الشروط اللازمة لخروجه، وهي بهذا المعنى داخلّة ضمن الصفات والشمائل المتعلقة بالبحث، الذي توصلنا من خلاله إلاّ هذه الصفات جزء من مجموعة أجزاء متكاملة، يرتبط بعضها ببعض، ليقدّم في النهاية لبنة أساسية من لبنات الاعتقاد بالمهدي وقضيته وظهوره، الذي سيحقق غاية المولى - جلت قدرته - من الخلق.

نقول: إنّ هذا صحيح ولا غبار عليه، لكنّ هذه الروايات خارجة - على أي حال - عن إطار التوصيف الذي يقدمه العقلاء لموصوف يراد تشخيصه، وكل وصف بالمتغير لا يعتمد العقلاء للتعريف، خصوصاً إذا كانت الفواصل الزمنية بين المعرفّ والمعرف له، كالتي تحدث عندنا في قضية المهدي، وهي مئات السنين وعشرات الأجيال، ولا يعني هذا الترك لها إنكارها، أو تركها بمعنى تضعيفها، فهذا ليس من اختصاصنا، وإمّا نقول بخروجها عن البحث بالمنهج الذي إرتأيناه لهذا الكتاب.

أمثلة هذه الروايات كثيرة نورد منها: «عليه عباثان تطوئيتان»^(٢٤).

ومنها: ما ورد عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قوله في وصفه: «يسيل شعر المهدي على منكبه». وهناك أمثلة كثيرة لهذه لا داعي لإيرادها وإمّا أشرنا لهذا القدر منها لتوضيح موقفنا منها والتدليل على أنّها متغيرة، فما الذي يمنع المهدي (عج) من الظهور مرّة

(٢٣) إسعاف الراغبين: ١٤٦، ونور الأبصار: ١٨٧، وفي البرهان: ١٠٠ الباب الثالث ح٥، وفتن ابن حمّاد: ١٠١.

(٢٤) فرائد فوائد الفكر: ٤٠، باب ٢، والقول المختصر: ٥١، باب ١، ح٤٥، والبيان: ١٣٧، الباب الثامن عشر، وكذا في عرف السيوطي، وعقد الدرر: ٢، عقد الدرر: ٦٨ الباب الثالث في عرف السيوطي، الحاوي: ٢٢٢/٢ و ٢٣٨، فتن ابن حمّاد: ٩٩، البرهان: ١٧٣ الباب الثامن عشر، ح١٠ و ١١، وابن أبي شيبه: ١٩٩/١٥، ح١٩٤٩٨.

بعبائتين تطوائيتين، ومرة بدونهما، وثالثة بشعر مسندل على كتفيه، ورابعة به على هيئة أخرى، وهكذا.

الصفات الكاشفة عن السلوك

من المهم جداً التوقف عند مجموعة أخرى من الصفات، التي وردت في وصفه(عليه السلام)، تلك هي مجموعة الصفات الكاشفة عن كيفية تصرفه وسلوكه، وهذه من الصفات الداخلة في البحث لأكثر من سبب، فهي أولاً: تطابق غاية وجوده المبارك مع الآمال المتعلقة على رؤيته، سواء في زمن الغيبة الكبرى، أو بعد ظهوره الشريف بعد استكمال شرائط الظهور، ثم إنها من الأوصاف المعرّفة للشخص، بما يكشف عنه ويدلّل عليه، رغم أنها ليست من صفات الشكل واللون، فوصف رجل بأنه كريم لا ينطبق بالتأكيد على كل أحد، ولما جاء الكرم ضمن مجموعة صفات ليتعين شخص معين، يمكن لهذه الصفة أن تثبت تعيين الشخص، إن وجدت له قرائن أخرى، وعليه فهذه الصفات ممّا يبحث في هذا الباب، وسنكتفي - كعادتنا - بأمثلة محدودة لأن الاستغراق في كل الروايات يخرجنا عن بحث بهذا الحجم، ورد عنهم(عليهم السلام) «المهدي رجل صالح»^(٢٥). وورد في مصادر أخرى عن طاووس أنّه: «شديد على العمال»^(٢٦). وكذا في البرهان.

وورد في بعض النصوص: «يشد على العمال» والصفة واحدة وهي شدته(عليه السلام) على من يستعملهم على الناس، وهم الولاة والقضاة وأمراء الجيوش، حيث إنّ الحاكم الإسلامي مسؤول عن هذه التعيينات مباشرة بشخصه.

ومن صفات الأخرى الواردة في الروايات عنه(عج) أنه رحيم بالمساكين، أو كما ورد في بعض المصادر^(٢٧): «... ويرحم المساكين» وفي نصوص أخرى ألفاظ شبيهة فراجع المصادر للزيادة^(٢٨).

كما ورد في العديد من الأحاديث والروايات أنّه جواد بالمال.. فقد نقلت المصادر نصوصاً كثيرة بهذا الخصوص نكتفي بواحد منها، ونحيل إلى المصادر لمن أراد الاطلاع أكثر، ففي فتن ابن حماد أنّه: «... يبذل المال» بعد أن أورد له صفات أخرى.

ولاشك أنّ هذه إحدى صفات الأئمة الثابتة عندهم جميعاً، ولإسناد الحديث راجع المصادر^(٢٩) مع أحاديث أخرى مشابهة فراجع.

(٢٥) كشف الغمة للإربلي: ٢٧٠/٣.

(٢٦) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٥ / ١٨٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٢٥/٩.

(٢٧) فتن ابن حماد: ٩٩ عن طاووس.

(٢٨) عرف السيوطي الحاوي: ٢٣٥/٢، والبرهان: ١٧٣ الباب الثاني عشر، ح ١٠ و ١١.

وقد أوجزت هذه الصفات مجموعة من الأحاديث يمكن المرور عليها سريعاً مثل: «علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال، جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين»^(٣٠).
وهناك روايات شملت بعض صفاته النيرة، وجاءت على شكل شرح لسلوكه بعد قيامه، أو هي عامة كصفات فيه حال غيبته أو بعد ظهوره «ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الشعير الجشب»^(٣١). أو كما ورد في مصدر آخر أنه: «... يكون من الله في حذر، لا يضع حجراً على حجر، ولا يقرع أحداً في ولايته بسوط إلا في جد»، ووصفته روايات أخرى بأنه: ملاذ الناس وملجأهم والحسن الدافئ، الذي تنتسم فيه الناس نسيم الأمن والأمان، مثل رواية برهان المتقي الهندي: «...كما تأوي النحل الى بيوتها» أو «تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة الى يعسوبها»^(٣٢).

دراسة روايات الشمائل والصفات

وقفه أمام الروايات الآتفة

أهملنا في بحثنا هذا الكثير من الروايات الخاصة بالشمائل، لأكثر من سبب، منها أننا أهملنا كل ما أتينا برواية واحدة أو اثنتين عن صفة معينة فيه، فقد ورد في نور وجهه العديد من الروايات، ولاشك أنّ استيعابها كلها يخرج عن حيز هذه الدراسة، لأنها ليست بصدد جمع وتعداد روايات الصفات، وإنما التوقف أمام هذه المسألة وشرحها، وبقينا أنّ العقلاء يكفهم إيراد مثل واحد من كل صفة، أو مثلين مع الإشارة لكثرتها وهو ما فعلناه، كما أهملنا بعض الروايات التي وإن كانت تبدو أنّها من صفاته وأوصافه إلا أنها تخرج عن كونها دلالة عليه وتشخيصاً له، كما أشرنا في حديثنا عن رواية: «الشامة في فخذ الأيمن».

كما أهملنا بعض الروايات التي لم تعد مما يحسب من علامات لتشخيصه مثل كونه (عج): (ابن ستة أو هو أصغر الأئمة سناً) حيث إنّ هذه الروايات وردت لتشخيصه عن الأئمة في زمن حياتهم (عليهم السلام)، إذ كان أكثر أصحابهم يسألون كل إمام وخصوصاً من الأئمة المتأخرين «هل أنت القائم؟» أو «هل أنت صاحب السيف؟» فكانوا يجيبون بمجموعة من الروايات التي ترد فيها صفات المهدي، مثل خفاء ولادته، أو صغر سنه عند إمامته، أو كونه ابن ستة كما قلنا، وهكذا وهي كلها روايات تعالج قضية تشخيص المهدي (عج) في مرحلة حياة الأئمة، وهي ممّا لا نحتاج لإيرادها لانتهاء دورها لأننا نعرف يقيناً أنّ الأئمة

(٢٩) مصنف ابن أبي شيبة: ١٩٩/١٥، ح ١٩٤٩٨، ونقل البرهان وعرف السيوطي عن ابن حماد الحديث.

(٣٠) مصنف ابن أبي شيبة: ١١٩/١٥، سنن الدارمي: ١٠١، حاوي السيوطي: ٧٧/٢.

(٣١) الكافي: ٤١١/١، وإثبات الهداة: ٥١٥/٣، ملاحم ابن طاووس: ١٣٢.

(٣٢) البرهان للمتقي الهندي: ٧٨/باب ١ ح ١٨.

لحد العسكري هم ليسوا المهدي(عج)، ولذا لم نشأ التوقف عند هذه الروايات دون أن نحقق غرضنا. مع أننا نؤكد أن ما أهملناه من روايات بهذا الخصوص لخصوصية بحثنا عن الصفات والشمائل التي تعنينا، وتعني من سيأتي بعدنا، ولا يؤثر هذا بالتأكيد في أهمية هذه الروايات لمن يبحث في أمور أخرى، أو لمن يتناول القضية بكل أبعادها.

المهم أننا قدّمنا مجموعة من الروايات تكفي لتحديد معالم شخصية ما عبر هذه الروايات، فالمربوع، وعريض ما بين المنكبين، وأزبل الفخذين في جسمه، يختلف بالتأكيد عن غيره من الأوصاف، كما أن: وجود الشامة فيوجهه، وإشراقة النور عليه، وكونه أفلج الثنايا، أو أفرجها، لا بدّ أن تجعل من الموصوف شخصاً يمكن تصور شكله ورسم ملامحه.. إذن تحقق ما نريده من هذه الروايات وهو وصفه بشكل يميزه عن غيره عن طريق روايات شمائله وصفاته وبعض معالم سيرته، لأن إيراد صفات مثل الكرم والجود لا بدّ أن تساهم بفرز هذا الشخص عن أهل جمع المال والبخلاء، وكذلك بقية الصفات التي أوردناها مثل شدته على العمال ورحمته بالمساكين وغير ذلك.

أغراض وأهداف روايات الشمائل والصفات

إنّ رسم معالم شخصية ما وإعطاء أوصافها كاملة لأجيال قادمة، وحرص أكثر أصحاب الأئمة(عليهم السلام) على نقل هذه الروايات، ووصولها لأجيالنا المعاصرة واللاحقة، لا بدّ أنه تم وفق تخطيط دقيق ومنهجي حقق عدداً من الأهداف وأدى مجموعة كبيرة من الأغراض، أهمّها:

١ - إثبات قضية المهدي (عج) على نحو الكليّة - الإجمال - لا بدّ أن ذكر شخص معين باسمه وأوصافه وحالاته، ووصف شعره وشامة وجهه وظهره وفخذه، وتوصيف طوله وبشرته وإشراقة وجهه، تكشف بالتأكيد عن وجوده وحقيقته... والرسول الكريم والأئمة المعصومين الذين هم غاية المعرفة، وقمم العلم في الجنس البشري لا بدّ أن يتنوعوا في أساليبهم لإثبات حقيقة المهدي(عليه السلام)، وقضيته باعتبارها قضية أساسية من قضايا العقيدة الحقّة ومرتكز مهم من مرتكزات بيان صلاح هذا الدين لكل عصر وزمان ونجاحه في خلق الإنسان الفاضل والمجتمع الصالح .

ولما كانت هذه الغايات لم تتحقق بعد وستتحقق بالمهدي(عج). نرى الرسول والأئمة أكدوا على قضية المهدي بأشكال وأساليب مختلفة، وهذا لعمرى من أنجح الأساليب؛ لأنّ الناس كلّ الناس لا تؤمن بقضية المهدي بنفس التفاصيل الواقعية، بل إن كل إنسان يؤمن بها - إن كان يؤمن بها - بطريقته النابعة من مستواه العقلي والمعرفي والإيماني، ولا بدّ أن وجود روايات

عن المهدي ووجهه المشرق، وثناياه الباسمة، ورحمته بالمساكين، ستجعل من كلّ الناس وعلى مختلف المستويات نقلة لرواياته ومواصفاته عند كل شدة ظلم أو محنة يمرّ بها الناس، أو حتى محنة فردية، كأنّ يتيه إنسان من الطريق أو يمرّ بشدة شخصية كحاجة لمال أو دواء أو ماشابه ذلك، لذلك فوجود هذه الروايات الكثيرة وبهذه التفاصيل ستعطي لقضية المهدي حيوية وسعة في الحضور بحيث تبدو وكأنها حقيقة مسلم بها، وهذا من بديع أساليبهم وعظيم حكمتهم في التبليغ له أرواحنا فداه.

٢ - معالجة احتمالات الانحراف الفكري والسياسي الذي من المحتمل أن يتعرض له المسلمون، وذلك من خلال هذه الروايات بطريقة ذكية ودقيقة تثير الأمل بالنفوس، وتجعل المحن والشدائد أقل قدرة على تضليل الناس وتحريفهم عن جادة الحقّ، بل العكس أنّ المحن إذا اشتدت جعلت المؤمنين أكثر اقترباً وأكثر حديثاً عن الخلاص والتحرر من هذه المحن، ووجود هذه الروايات العديدة الكاشفة عن صفاته التي تمثل علاجاً لمشاكل عصرنا وكل عصر يجعل الإنسان أكثر انشداداً صوب المهدي(عج) عند كلّ محنة وشديدة، وعلى سبيل المثال لنقف عند وصفه بكونه شديداً على العمّال رحيماً بالمساكين (كما ورد في رواية السيوطي راجع ص ١٦) ونقف عند أكثر المحن التي تفتك بعالمنا الإسلامي المعاصر، أليس أكثر مشاكلنا من حكام الجور وسلطين الكفر وأتباعهم من عملائهم الذين يسومون الناس عسفاً وظلماً وقسوة، وهم أليّن وأطوع لأسيادهم من كل مطيع، فهم سبع ضاري على الناس يهبون أموالهم ويقتل أحيارهم... إنّ كل معايشة لهذا النوع من العمّال أو الحكام الظالمين ووكلائهم وزبائنتهم يفتح باب الأمل نحو ذلك الذي يرحم الناس ويكون ملاذهم ومأواهم ويشدّ على عمّاله وعلى نفسه، فلا يأكل إلاّ الشعير الجشب ولا يسمح لعمّاله ووكلائه بأكل مال الناس... إنّ هذه الصورة الرائعة للحاكم الإسلامي العادل، التي تشرق به الأرض هي معالجة رائعة لمصائبنا المعاصرة قدّمها لنا الأئمة المعصومون(عليهم السلام) على شكل روايات تتحدث عن المهدي(عج)، وصفاته وسيرته، مما يجعل كلّ محنة دافعة للتمسك بالمنهج الحقّ على عكس ما يريده الظالمون من قسوتهم وشدّتهم على الناس.

٣ - منع الأعداء أو النفعيين من تقمّص ظاهرة المهدي: إنّ من أهداف الأئمة بعد الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) صيانة الأمة من التحريف والانحراف، ولعلّ من أهم وسائلهم في ذلك هو أسلوبهم الرائع في غلق باب الادّعاء الزائف بتمثيل الرسول وآل بيته. إنّ ثورة الطف الدامية واحدة من الملاحم العظيمة التي تقدّم لنا الفيصل بين الحاكم العادل، وبين المغتصب الظالم... ومدرسة الإمام الصادق أسلوب آخر حكيم يكشف عن زيف الظلمة وبطلان

مزاعمهم في كونهم يمثلون الخط الإسلامي الأصيل، وتأتي صفات المهدي(عليه السلام) لتكون المرحلة التالية من طرق صيانة الأمة من التصديق بمزاعم الظلمة وحكام الجور.

وهذه الحياة المعاصرة بما تحويه من وسائل تطور حديثة في الإتصال ونقل المعلومات، وهذا العالم الذي يبدو وكأئه قرية صغيرة يرى فيها المغربي المشرقي بضغطة زر، أو حركة بسيطة أخرى، كلها تعجز عن أن تأتي بحاكم يدعي أنه يمثل هذا الخط... إذ كيف يستطيع إنسان أن يجمع في شخصه هذه الصفات التي أوردتها الروايات عن المهدي(عليه السلام)، وهو كاذب مبتدع.. إن هذه العلامات وتفصيلاتها تقدم لنا حصانة أكيدة تمنع الذين يحاولون تقمص شخصية المهدي(عج)، وكأنّ هذه العلامات والسمات والروايات الدالة على أوصافه تشبه الى حدّ بعيد عملية ختم النبوة بالمصطفى الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، ولو لم تتم لما استغربنا من وجود من يدّعي النبوة وتلقي الوحي واعتباره نبياً من المرسلين. إنّ هذه الخطوة العظيمة من الرسول الكريم والأئمة المعصومين(عليهم السلام) في ذكر أحوال المهدي(عليه السلام) وصفاته وشمائله، قطعت الطريق على عمليات التخريب العقائدي، التي حاولت بنو العباس من خلالها إثبات إنتسابهم للرسول وأحقيتهم بالخلافة، من خلال بطلان عقائد غيرهم، ووردت الروايات كثيرة في سعيهم لجعل جعفر بن الإمام الهادي هو الإمام الثاني عشر، ولكن وجود العلامات الدالة على المهدي وذكر أحواله وصفاته وأنه يغيب، حصّن أتباع المذهب الحقّ من التشتت والتفرّق، وهذه العلامات والصفات والشمائل ستبقى تؤدي دورها كلّ زمان وحين، لحين ظهوره الشريف.

٤ - تمكين الارتباط بالإمام الغائب: إنّ وجود هذه الروايات الكثيرة في وصف المهدي وشمائله وإشراقه وجهه وحلاوة طلعه البهيّة، تشبه الى حد بعيد عملية وصف جمالات المحبوب لحبيبه، فهي مما يزيد شوقاً وحرقة وأماً على فراقه، وإبقاء صورته حيّة حاضرة قريبة.

ولأنّ قضية المهدي ليست علاقة عاطفية بشخص غيبته السنون، وإنّما هي قضية خلاص الإنسان من الظلم والجور والانحراف، وقضية انعتاق الإنسان من ربقة الشهوات والماديات، لذلك كلّ شكّات هذه السمات والشمائل أسلوباً إمامياً رائعاً آخر لدفع الإنسان نحو الالتزام بطريق الخير والصلاح.. فالشوق لرؤية طلعه البهيّة لا يزيد العاشق لوعة وحسرة، بل يدفعه قدماً في طريق الاخلاص والتقوى أيضاً للتلازم الذي لا يخفى على العاقل بين المهدي والتغيير المرتقب على يديه، لذلك كلّ شكّات هذه العلامات حلقة من سلسلة مترابطة من المواقف والمفاهيم، تنتج في النهاية إبقاء قضية المهدي ويومه الموعود لتغيير العالم، والاستعداد المطلوب لهذا التغيير، حيّة وحاضرة وكأئها القضية الساخنة دائماً وأبداً.

إنّ نظرة واحدة للقصص التي أفرزتها اللقاءات المتفرقة به، تدلّ كلّها على أنّ هذه العلامات مهمّة وشاخص بارز في دعوته الحقّة وأساليبه الحكيمة في إبقاء جذوة قضيته متّقدة ومشرقة كلّ حين.

روايات الشمائل والصفات ولقاءات الإمام

أما روايات الصفات والشمائل فلها أهمية بالغة في فترة الغيبة الكبرى، حين يرى الإمام من المناسب أن يلتقي هذا الشخص، أو ذاك تبعاً للضرورة، فيستعين الشخص الذي يتمّ معه اللقاء بالصفات والشمائل، التي تعلمها من خلال الروايات لتثبيت، له صحة اللقاء وتؤكد من أنّه الذي التقاه هو نفس الإمام لا غير.

بالإضافة الى ظهور الإمام بعد غيبته الكبرى تؤكّد للمنظرين هي الأخرى من أنّ الذي ظهر هو الإمام مازال قد اتّصف بنفس تلك الصفات وكذا الشمائل.

كذلك تبرز فائدة الشمائل والصفات من خلال لقاءات الإمام مع جمع غفير من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث ساعدتهم على تشخيصه والتأكّد من شخصيته.

ففي قصة ابن مهزيار - مثلاً - يصفه بأنه ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة، مدورّ الهامّة، صلت الجبين، أزج الحاجبين، أقى الأنف، سهل الخدين، على خده الأيمن خال، كأنه فتات مسك على رضاضة عنبر^(٣٣).

ونستخلص من هذه القصّة وغيرها أن هنالك ترابطاً تاماً بين الاستدلال بالروايات الدالة على دور المهدي، ومسؤوليته وشكله وتشخيصه وتعريفه، وهذا الترابط إنّما يكشف أهمية هذه الروايات الدالة على أن هذه القصّة ليست موضوعة للوصف الظاهري للإمام وتحديد شكله ومكان الشامة في ظهره الشريف، وإنّما هي لغاية كبرى هي جزء من عملية أداءه لدوره ومسؤوليته مع أمته أثناء غيبته ولهذا فإنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لم ينقلوا لنا وصف أحدهم للآخر من ناحية الشكل ولا تجد في رواياتهم الشريفة أوصافاً مثل التي خصّ بها المهدي (عج)، ولو كانت هذه الروايات موضوعة لغاية وصف ظاهر الإمام وحسب لوجدناها عنهم كلّهم ولما اختصّ بها أو بأكثرها المهدي تبين أنّ لما له من خصوصية في غيبته والاستتار والظهور بين فترة وأخرى الذي يحتاج للتحديد مواصفاته وعلاماته.

والحمد لله ربّ العالمين

الفهرس

- كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ... ٥
المقدّمة ... ٩
الإمام المهدي كآبائه المعصومين (عليهم السلام) ... ١٠
خصوصية المهدي واختلافه عنهم ... ١٣
كيف يؤدي المهدي رسالته وهو غائب ... ١٦
الروايات الكاشفة عن شمائله وصفاته ... ٢٠
صفات خارج البحث ... ٢٥
الصفات الكاشفة عن السلوك ... ٢٧
دراسة روايات الشمائل والصفات ... ٣٠
وقفة أمام الروايات الأنفة ... ٣٠
أغراض وأهداف روايات الشمائل والصفات ... ٣٢
روايات الشمائل والصفات ولقاءات الإمام ... ٣٨
الفهرس ... ٤١